تقنيات الكتابة السرديّة في أدب الديستوبيا من خلال رواية "حكاية العربي الأخير 2084" لواسيني الأعرج*

Narrative Writing Techniques in Dystopian Literature: A Study of "The Last Arab Tale 2084" by Wasini Al-Araj

أ.دوهيبة جراح،

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف (الجزائر)،

w.djerrah@centre-univ-mila.dz

ملخص:

تتقفى هذه المداخلة طرائق الكتابة السردية في أدب الديستوبيا، عبر استنباطها أحد النماذج الروائية المعروفة في هذا المنحى وهي رواية واسيني الأعرج "حكاية العربي الأخير 2084" التي اعتمد فيها منطقا استشرافيا قائما على رؤية استشرافية قوامها النظرة المستقبلية السوداوية.

الكلمات المفاتيح: السرد، الديستوبيا، واسيني الأعرج، الاستشراف، العولمة.

Abstract:

This presentation explores narrative techniques in dystopian literature by examining one of the well-known novels in this genre, **"2084: The Story of the Last Arab"** by **Wasini Al-Araj**. The novel employs a predictive approach based on a dystopian futuristic vision characterized by a bleak outlook on the future.

Keywords: narrative, dystopia, Wasini Al-Araj, foresight, globalization.

1-مقدمة

يستخدم الخطاب السردي لسرد أحداث القصة أو الحكاية، متضمنا عناصر متنوعة مثل السرد، والوصف، والحوار، وغيرها، بهدف إيصال رسالة معينة للقارئ، أما الديستوبيا فهي نوع من الأدب يصوّر عالما يسوده الظلم والقمع والفساد، وتكون فيه الحياة مريرة ومظلمة بشكل عام.

يعكس الخطاب السردي الديستوبي هذا التصوّر السلبي للعالم من خلال استخدام مجموعة من العناصر والتقنيات السردية، فعلى سبيل المثال يمكن أن يتمثل الخطاب السردي في استخدام لغة مظلمة

تاريخ استلام البحث: 2024/11/30	تاريخ قبول البحث: 2025 /03/21	تاريخ النشر: 2025/05/15

ومبهمة لوصف البيئة والأحداث، وفي استخدام التشويق والتوتر لإثارة انتباه القارئ وإيجاد جو من القلق والتوتر، وفي تجسيد شخصيات تعيش في عالم مليء بالمعاناة واليأس.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إلقاء الضوء على الطريقة التي يتم من خلالها بناء عالم الرواية وصياغته وكيفية توظيف العناصر السردية لخلق جو درامي يعبّر عن الرؤية السلبية للمستقبل أو المجتمع المصور في الديستوبيا.

تقوم رواية "حكاية العربي الأخير 2084" على منطلق مزجي قوامه غلبة الرؤيا الاستشرافية والعولمية، يضاف إليها مجموع التقنيات المعتمدة في تجسيد الواقع المظلم والمرير الذي يحيط بشخوص الرواية، بدءا بالشخصية الرئيسية التي مارست امتداداتها الدلالية الرمزية داخل الرواية، وفي تحديد الموقف العام للروائي تجاه قضايا الظلم والاستبداد والقهر والفقر التي تعتبر منبع النظرة التشاؤمية التي غمرت رؤية الروائي، مما أسس لمشهديات الرذيلة والألم والتي يمكن من خلالها تصنيف الرواية ضمن أدب الديستوبيا.

ما يهمّنا في هذا المقام هو عملية الخلق السردي داخل هذا النموذج من الأدب، عبر محاولة الإجابة عن الإشكال الموالي: ما هي أهم التقنيات السرديّة التي اعتمدها واسيني الأعرج في بناء المشاهدالديستوبية داخل الرواية؟

2-أدب الديستوبيا: المفهوم والخصائص والمرجعيات:

يصف أدب الديستوبيا المجتمعات مظلما ومنحرفا، حيث يكون الحكم السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي في يد القلة، وتسوده حالة شديدة من القمع والتحكم والظلم، كما يصوّر أيضا المجتمعات المستقبلية الخارجة عن السيطرة أو المجتمعات التي تم تدميرها بالفعل.

يتأمل هذا النوع من الأدب في المستقبل الذي يتسم بالفساد حيث يصوّر مجتمعات مستقبلية سيئة بغرض تسليط الضوء على قضايا متباينة، وتتنوع عناصره من القضايا السياسية إلى الاقتصادية أو حتى البيئية والإنسانية والنفسية.

تندرج روايات الديستوبيا في قائمة أدب الخيال العلمي، لكنّها تتنبأ بمستقبل أسود ينهار فيه المجتمع وتتحلل فيه القيم الإنسانية وتسقط المبادئ أمام سطوة الاضطهاد، يعد الكاتب "هربرت ويلز" الأب المؤسس لأدب الخيال العلمي، فقد عالج الكاتب في روايته "آلة الزمن" التي صدرت عام 1895 التفاوت الطبقي المستقبلي بين فئتين بشريتين؛ فئة تعيش فوق الأرض وهم الأغنياء/ الآيلو، والأخرى تكيفت للعيش تحت الأرض وهي الفقراء/ المورولوك، ويجري بين الطبقتين صراع دام من أجل البقاء.

يعتبر "أنطوان شلحت" بأن معنى "ديستوبيا" مفهوم فلسفي عكس فكرة يوتوبيا، ومكان الديستوبيا هو السيء الكئيب الذي يوجد فيه الفقر والظلم والمرض، وكمصطلح تُستخدم ديستوبيا على وجه خاص بغية الإشارة إلى مجتمع وهميّ موجود غالبا في بيئة مستقبليّة سيئة، وتكون اتجاهاته وغاياته متشائمة ورهيبة[1].

يستدعي هذا النوع من الكتابة اعور باليأس والإحباط الذي يشعر به المبدع في مواجهة العنف واللاأمل، إنّ الفكرة ليست وليدة الظروف الراهنة، بل هي مصاحبة تفتّق الوعي التام لدى المثقف والمفكر والمبدع مهما كان مجال إبداعه الفني، ليعبّر عن إحساسه بالخذلان التام ممّا يمكن أن ينجم عن تحوّل معاني الآدمية والإنسانيّة إلى تغوّل ووحشيّة مادية ومعنوية، بل وغوغائيّة يستحيل فيها العالم غابة موحشة مقلوبة المفاهيم ممّا يجعل " أدب الديستوبيا يبتكر عالما افتراضيا مشتقا من الواقع وموازٍ له ممكن تحقيقه"[2].

3-خصائص أدب الديستوبيا

1-تقديم صورة مظلمة للمستقبل: يتخيّل أدب الديستوبيا مستقبلا مظلما ومروعا، حيث يسيطر عليه القمع والفساد والعنف والتشدد السياسي أو الاجتماعي.

2-الحكم الديكتاتوري: غالبا ما يظهر في أدب الديستوبيا نظام حكم ديكتاتوري أو توتاليتاري، حيث يمارس الحكم بقبضة من حديد ويقمع الحريات الفردية والتعبير عن الرأي.

3-المجتمع المنظم بشكل مركزي: يصف أدب الديستوبيا المجتمعات التي يتم التحكم فيها بشكل مركزي وتسيطر عليها الحكومة أو الهيئة القمعية الوحيدة.

4-التقنية السلبية: عادة ما تظهر التكنولوجيا في أدب الديستوبيا كوسيلة للرقابة والتحكم والتجسس على المواطنين.

5-تفاقم الظروف البيئية: يمكن أن يشمل أدب الديستوبيا تفاقم الظروف والكوارث البيئية التي تؤدي إلى انهيار المجتمع.

6-التركيز على الفرد والحرية: يسلّط أدب الديستوبيا الضوء على معاناة الفرد وتضحياته من أجل الحرية والكرامة الإنسانية، أمثلة على أعمال أدب الديستوبيا تشمل روايات مثل "1984" لجورج أورويل و"فرنهايت 451" لراي براد بيري "والمزرعة الحيوانية" لجورج أورويل، و"عالم السجادة" لألدوس هكسلي.

4-مرجعيات أدب الديستوبيا

يطرح أدب الديستوبيا العديد من النقاشات في شأن مرجعياته، فهو يقارب بين ديستوبيا الواقع المادي/الحقيقي (وهو الحاضر الذي ينطلق منه الروائي) وديستوبيا العالم المتخيل الذي يقع في المستقبل

فمادته الأساسية هي المشكلات السياسية والاجتماعية المستعصية التي تمثل نقطة الانطلاق نحو الحديث عن مستقبل أكثر سوءا وسوداوي.

وبهذا يخت أدب الديستوبيا عالما افتراضيا متخيلا مشتقا من الواقع يجعل المتلقي في مرحلة لاحقة يتساءل: ماذا لو حدث هذا فعلا؟

من مرجعيات هذا الأدب كذلك الملمح الفنتازي، الذي عمل على تحطيم العوالم المرجعية (رغم أنها المنطلق) هذه الخاصية ربما جعلته يحشر ضمن أنواع أدب الخيال العلمي.

ومن مرجعياته أيضا تهشيم التاريخ الفعلي/ الواقعي بغرض صياغة تاريخ بديل يناهض نماذج السلطة القمعية الموجودة في الواقع، "ليتخذ هذا التمظهر (تمظهر التاريخ البديل) شكل تكهنات وتنبؤات لما سيحصل في المستقبل من انهيار للقيم المجتمعية"[3].

5-تقنيات الكتابة السردية في رواية العربي الأخير 2084

يعدّ البحث في تقنيات الكتابة السردية بحثا في أعرافها كما يشير إلى ذلك عبد الله إبراهيم في كتابه "أعراف الكتابة السردية"، حيث إنّ الفكرة التي انطلق منها هي أنّ الرواية عبارة عن صنعة، والصنعة تتطلب من الصانع الجودة، الإتقان الإحكام والحذق فيها، وبالتالي –حسبه- فإنّ حرفة السرد تقتضي خبرة بأعراف الكتابة، هذه الأعراف لا يتكفل النقاد والدارسين بصياغتها، وإنّما -حسبه- تستخلص من الأعمال الروائية الكبرى، والتجارب السردية العظيمة والخالدة مع الحفاظ على حق الظاهرة السردية في الانفتاح على تجارب الكتابة في العالم بشكل يجعلها قادرة على ابتكار تقنيات جديدة تمكنها من التعبير عن موضوعاتها بأفضل الطرق[4]. من هذا المنطلق طرحنا تساؤلا مهما هو: ماهي أهم التقنيات السردية التي اعتمدها واسيني الأعرج في بناء مشهد الديستوبيا داخل الرواية قيد الدراسة؟

وفيما يخص تقنيات الكتابة السردية في رواية حكاية العربي الأخير: فنجد أنّ واسيني الأعرج قد استخدم العديد من الآليات في رصد لمشهديات الديستوبيا في الرواية منها:

5-1تقنية التناص

استند الكاتب في روايته هذه على مرجعية تخييلية ممثلة في روايات جورج أورويل 1984، خاصة الرواية التي كتبها عام 1949 بعد الحرب العالمية الثانية والتي تنبأ من خلالها "بمصير العالم الذي ستحكمه قوى كبرى تتقاسم مساحته وسكانه ولا توفر أحلامهم وطموحاتهم بل تحوّلهم إلى مجرد أرقام في جمهوريات الأخ الأكبر الذي يراقب ويعرف كل شيء"[5]، وقد صرّح واسيني بهذا التناص في العديد من موضع الرواية لعل أبرزها حيثما أشار إلى نسب شخصية "ليتل بروز" التي استخدما في روايته قائلا: "الكثير من الناس الطيبين في القلعة يصدقون أنّ ليتل بروز من سلالة بيغ بروذر"[6]

ويتجلى التناص أكثر وضوحا حينما يصرّح واسيني بأنّ اختيار تاريخ 2084ليكون احتفالا بالمئوية الأولى لزمن أحداث رواية 1984 فيقول: "استعدادا لاحتفال مرور قرن على ميلاد الأخ الأكبر الذي بعد مائة سنة لم يمت، ولم يفقد نظره، لم يشخ ملامحه هي هي بل ازدادت قوة وشبابا... الشعارات التي ترفرف بالقرن من العلم والمختزلة في الثالوث تم تطويرها: الحرب هي السلام... الحرية هي العبودية... الجهل قوة"[7]

استثمر الروائي في التاريخ البديل حيث صور مأساة الإنسان العربي وقام بحصرها في كونه يعيش عصرا لا ينتمي إليه، لا من حيث المظهرات الخارجية التي يكتفي باستهلاكها فحسب، بل من حيث إنه كائن لا تاريخي رغم ادعائه الانتماءات التاريخية يقول واسيني: "آدم المسكين لا يعرف أنّ عصرا انتهى، وحل زمن آخر"[8].

أسس واسني للتاريخ البديل ببعض المشهديات الديستوبية التي صوّر فيها مآل العرب بشكل قاس وصادم فهم جياع وعطشى ومستعدون لقتل بعضهم من أجل شربة ماء، فتعطف عليهم "أميروبا" بالطعام والشراب لم يستطع الوصول إلى أسوارها فيركضون إليها منساقين يدوس بعضهم بعضا في لوحة تصل إلى الحدود القصوى من البؤس والديستوبيا.

ويصف في مشهد آخر تدافع سكان آريبيا على الطعام والدهشة التي تصيب آدم وهو ينظر إلى قومه يتصارعون بهمجية على اللقيمات وعلامات الدهشة بادية عليه وهو يقول في نفسه "يا إلاهي أهؤلاء قومي الذين كانت الأنفة والعزة أهم صفاتهم"[9]

5-2-تقنية العلاج بالصدمة

وجّه من خلالها واسيني صفعة قوية للقارئ العربي من خلال معالجته لعلاقة الشرق المهزوم بالغرب المحتل الذي يحاول تسويق الشعارات الناعمة في المنطقة العربية مقابل سلب ثرواتها وقد تجسّد هذا في عدة مشاهد دستوبية منها: عندما استخدمت آميروبا قنبلة الجيب التي صنعها العالم العربي (آدم) في قتل ما تبقى من سكان آريبيا بعد أن كانوا قد أوهموه أنهم إنما أرادوا منه تصنيعها للقضاء على الجماعات الإرهابية فقط"[10]

يتعدد منطق الديستوبيا من حيث "آثاره على الإنسان، فالمجتمعات الديستوبية قد توّجت في سلسلة واسعة من الأنواع الفرعية من الخيال تستخدم هذه القصص والروايات عادة لتسليط الضوء على القضايا الموجودة في العالم الواقعيّ، المتعلّقة بالمجتمع والبيئة والسياسة والدين وعلم النفس والقيم الروحية أو التكنولوجيا، التي قد تصبح الحاضر في المستقبل، لهذا السبب اتّخذت الديستوبيا شكل

العديد من التكهنات، مثل التلوّث والفقر والانهيار المجتمعي والأخلاقي والقمع السياسي أو الشمولية"[11].

تمزج "حكاية العربي الأخير 2084" للكاتب الجزائري واسيني الأعرج هي رواية بين "العناصر الفلسفية والسياسية والدينية، وتبرز فيها تقنيات سردية متنوعة تساعد على بناء جو مشحون بالتوتر والتأملات، كما تصوّر مستقبلا قائما حيث القمع والظلم، وتروي قصة شخصية البطل الذي يصبح رمزا للتمرد والمقاومة.

جاءت هذه الرواية "استشرافا تخييليا لوضع عربي مستقبلي، ولم يأت هذا الاستشراف عبثا، ولم يكن مجرّد متخيّل بحت، بل جاء نتيجة استقراء الظروف والسياقات الحضارية التاريخية الراهنة"[12].

6-خاتمة

جسدت هذه الرواية على مستوى الموضوع بعدا استشرافيا للمستقبل المتوقع للعرب في ظل الظرف الراهن وهو في مجمله مستقبل مفجع أضاع وجوده وتحوّل إلى العدمية والزوال.

إنّ الاشتغال على الكتابة عبر استشراف المستقبل قد سمح بصياغة مفاهيم جديدة للهوية مبنية على الارتباك والخلخلة وفقدان التوازن الذي أدى إلى اضمحلالها حسب مآل شخوص الرواية.

الهوامش

[1] -أنطوان شلحت، أدب النهايات الإسرائيلي البداية والصيرورة، مجلة قضايا إسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، فلسطين، ع60، دت، ص28.

[2] حنان عقل ونجاح غربي، أدب المدن الفاسدة يجتاح الرواية العربية، الأدب العربي من قتامة الواقع إلى خراب الديستوبيا، جريدة العرب، ركن الثقافة، ع10531، السنة 39، الخميس 2017/02/02، ص15.

[3]-فاطمة برحكاني، الديستوبيا المدينة الفاسدة في الرواية المعاصرة، قراءة في رواية أورويل، في الضاحية الجنوبية، مجلة إضاءات، ع29، 2018، ص132.

[4]-عبد الله إبراهيم، أعراف الكتابة السردية، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 2019، ص6.

[5]-جورج أورويل 1984، دار الحرية للنشر، ط1، القاهرة، 2015، من غلاف الكتاب. سليمة مسعودي، الكولونيالية الجديدة وهو لوكوست الهوية العربية، دار ميم للنشر، ط1، الجزائر، 2018، ص73.

[6]-واسيني الأعرج، حكاية العربي الأخير 2084، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2016، ص16.

[7]-المرجع نفسه، ص47.

[8]-سليمة مسعودي، الكولونيالية الجديدة وهو لوكوست الهوية العربية، دار ميم للنشر، ط1، الجزائر، 2018، ص73.

[9]-واسيني الأعرج، حكاية العربي الأخير 2084، مرجع سابق، ص15.

[10]-Doc . aljzeera. Net

[11]أحلام بن الشيخ، مشهديات الديستوبيا في رواية "جملكية آرابيا" لواسيني الأعرج، مجلة العلامة، ع 06، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2018، ص66.

[12]سليمة مسعودي، الكولونيالية الجديدة وهولوكوست الهوية العربية، ص71.

8-قائمة المصادر و المراجع:

8-1-المصادر

1-جورج أورويل 1984، دار الحرية للنشر، ط1، القاهرة، 2015.

2-واسيني الأعرج، حكاية العربي الأخير 2084. دار الآداب للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2016.

8-2-المراجع:

8-2-1الكتب:

1-سليمة مسعودي، الكولونيالية الجديدة سليمة مسعودي، الكولونيالية الجديدة وهو لوكوست الهوية العربية، دار ميم للنشر، ط1، الجزائر، 2018.

3-عبد الله إبراهيم، أعراف الكتابة السردية، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 2019.

8-2-2-المجلات:

1-أحلام بن الشيخ، مشهديات الديستوبيا في رواية "جملكية آرابيا" لواسيني الأعرج، مجلة العلامة، ع 06، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2018، ص66.

2-أنطوان شلحت، أدب النهايات الإسرائيلي البداية والصيرورة، مجلة قضايا إسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، فلسطين، ع60، دت.

3-فاطمة برحكاني، الديستوبيا المدينة الفاسدة في الرواية المعاصرة، قراءة في رواية أورويل، في الضاحية الجنوبية، مجلة -إضاءات، ع29، 2018.

8-2-3-الجرائد:

حنان عقل ونجاح غربي، أدب المدن الفاسدة يجتاح الرواية العربية، الأدب العربي من قتامة الواقع إلى خراب الديستوبيا، جريدة العرب، ركن الثقافة، ع10531، السنة 39، الخميس 2017/02/02.

8-2-3-الأنترنيت:

Doc . aljzeera. Net-1